

احترام العقائد وتفادي الضرر: المساعدة النفسية الاجتماعية في الأردن والولايات

المتحدة

مريم زوما

على كل من المنظمات الدينية والعلمانية معرفة الطرق التي يمكن أن يُقدم من خلالها الدين المداواة والدعم والتي يمكن أيضاً أن تتسبب في إيذاء اللاجئ وطالبي اللجوء.

قدمت المنظمات القائمة على العقيدة تاريخياً مجموعة متنوعة من الخدمات للاجئين وطالبي اللجوء بغض النظر عن دين هؤلاء الأفراد أو انتمائهم الديني، ولا تختلف هذه المساعدات عن تلك التي تقدمها نظيراتها العلمانية. وتسترد المنظمات القائمة على العقيدة بقيمها الدينية وتسعى للتواصل مع مؤسسات دينية أوسع للحصول على الموارد التي قد لا تقدر المنظمات العلمانية على الحصول عليها. وإضافة إلى ما سبق، يستخدم كثير من اللاجئين وطالبي اللجوء الدين والقيم الروحية بوصفهما مصدرين للتعايش والاستشفاء والمرونة.^١

نوع من الشعور بالألفة، فعلى سبيل المثال، درست كنيسة مبشري مريم الفرنسييسكان الكتاب المقدس في مجموعة أسبوعية داخل ديرهم. وقد أعربن كثيرات من المشاركات كيف تطلعن للانضمام لهذه المجموعة نظراً لما قدمته لهن من نشاط روحي واجتماعي في ظل محدودية الموارد التي يحظى بها اللاجئون للإنفاق على الأنشطة الترفيهية. وقد منحت الدراسة الأسبوعية للكتاب المقدس اللاجئين مساحة لمعرفة المزيد عن دينهم والتفاعل مع المجتمع المحلي واكتشاف الموارد والخدمات المتاحة لهم من قبل المنظمات الأخرى فضلاً عن أنها ساعدتهم على مسايرة الضغوط التي يتعرضون لها.

يقارن هذا المقال العمل النفسي الاجتماعي مع اللاجئين وطالبي اللجوء الذي تضطلع به اثنين من المنظمات القائمة على العقيدة، هما: منظمة الهيئة الكاثوليكية للرفاه في الشرق الأدنى في عُمان، الأردن، ومنظمة البحارة الدولية في مدينة نيويورك. فمن ناحية، تقدم منظمة الهيئة الكاثوليكية للرفاه في الشرق الأدنى يد العون للسكان العراقيين والسوريين والفلسطينيين والأردنيين وتوفر لهم المساعدات الطبية والغذاء والإسكان والتعليم بغض النظر عن الخلفية الدينية للفرد، وتقدم كذلك هذه المنظمة التمويل لكنيسة مبشري مريم الفرنسييسكان في الأردن لبرامج التعليم المسيحي (التي تُقدم حصرياً لعائلات مسيحية). أما منظمة البحارة الدولية فمنظمة دينية اجتماعية لوثرية تابعة للكنيسة الإنجيلية اللوثرية في أمريكا التي توفر أساساً مساكن مؤقتة لطلابي اللجوء والمهاجرين القادمين من دول أمريكا الوسطى والجنوبية والشرق الأوسط وإفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

فوائد المنظمات القائمة على العقيدة التي

تقدم المساعدة النفسية الاجتماعية

يتحدث كثير من اللاجئين وطالبو اللجوء الذين عملت معهم في الأردن والولايات المتحدة عن أهمية العقائد الدينية واندماجهم في المجتمعات المحلية الدينية بوصفها مصدراً للدعم الروحي والعاطفي والاجتماعي. وتستطيع المنظمات القائمة على العقيدة من خلال أنشطتها مساعدة طالبي اللجوء واللاجئين على الشعور بالانتماء وتوفير لهم

وتقدم منظمة البحارة الدولية المساكن المؤقتة لطلابي اللجوء والمهاجرين الذين خرجوا مؤخرًا من مراكز الاحتجاز، ويوزر أيضاً موظفو منظمة البحارة الدولية والمتطوعون طلابي اللجوء والمهاجرين المحتجزين في مراكز الاحتجاز في جميع أرجاء نيو جيرسي لتزويدهم بالدعم العاطفي والاجتماعي.^٢ ويأتي كثير من متطوعي منظمة البحارة الدولية من التجمعات اللوثرية في مدينة نيويورك ويشاركون في هذا البرنامج بوصفه وسيلة لتفعيل إيمانهم بدينهم. وتدريب منظمة البحارة الدولية المتطوعين قبل إجراءهم زيارات لمراكز الاحتجاز حتى يعرفوا أن غرض الزيارة ليس جذب الأتباع بل تقديم الدعم العاطفي والاجتماعي. ولكن إذا جاء المحتجزون على ذكر مدى أهمية العقائد الدينية لهم فيمكن المتطوعين الاشتراك مع المحتجزين في حوار حول هذا الموضوع. فعلى سبيل المثال، تحدث أحد المهاجرين المحتجزين إلى متطوعي منظمة البحارة الدولية قائلاً إن قراءة الكتاب المقدس ساعدته على أن يكون إيجابياً خلال إقامته في الاحتجاز، وهكذا شعر هذا المحتجز بالأريحية لمشاركة هذه المعلومات عقب لقائه مع أحد المتطوعين لمدة ساعة ثم شاركه المقاطع من الكتاب المقدس التي يُحب أن يقرأها وأخيراً أعرب المحتجز عن شعوره بالراحة لإجراء هذا الحوار. في حين لا يشعر الموظفون في المنظمات العلمانية بالراحة عند الانخراط في حوارات بشأن العقيدة.

ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٤

ويتحدث طالبو اللجوء الذين يمكنون في دار ضيافة منظمة البحارة الدولية أيضًا عن أهمية العقائد الدينية. فعلى سبيل المثال، ذكر أحد طالبي اللجوء الذي عرّف نفسه بصفته مسيحيًا أن البقاء في مكان مسيحي ساعده على الشعور بالثقة والأمان. فالمساعدة تخلق بيئة يشعر فيها اللاجئون وطالبو اللجوء بالأمان وبالقبول والثقة وجميعها أمور مهمة لرفاههم العقلي والعاطفي. وتساعد الرموز والصور الدينية على خلق مساحات مألوفة ومطمئنة لطالبي اللجوء واللاجئين. وعلاوة على ما سبق، يمكن أن يساعد الموظفون الذين يشاركون في الشعائر الدينية والذين يحترمونها - سواء كانت من دينهم أم من دين آخر - على بناء جسور الثقة مع العملاء وتكوين روابط اتصال فعّال مع كل من المنظمة والمجتمع الأوسع. وفي المقابل، قد لا تقدر المنظمات العلمانية التي تقدم خدمات مماثلة على خلق بيئة ترضى العملاء الذين يشيدون بالدين والقيم الروحية بوصفها جوانب مهمة لرفاههم العاطفي فهذه المنظمات تفرط في استخدام التدخلات العلاجية الغربية التي تختلف كثيرًا عن طرق الأشخاص الذين يخدمونها في التعايش ما يسبب الألم النفسي لهم.

وقد يشعر طالبو اللجوء واللاجئون بالقلق إزاء تلقي المساعدة من منظمة قائمة على العقيدة لا تعتنق دينهم نفسه. حتى إن بعض العملاء يظنون أن مثل هذه المنظمات لا تقدم المساعدة إلا للأفراد الذين يعتقدون الدين نفسه الخاص بالمنظمة وأحيانًا يعتقد خطأً بعض العملاء ذوو دين المنظمة نفسه أنهم سيحظون بمعاملة أفضل من غيرهم. وقد يشعر العملاء الذين يعتقدون دين المنظمة نفسه بالضغظ للإفصاح عن دينهم عند تلقي المساعدة من المنظمات الدينية.

وقد تتسبب الرموز والصور الدينية في إشعار العملاء من الأديان المغايرة بالبعد عن المنظمة. فقد كان أحد المتطوعين في منظمة البحارة الدولية يرتدي صليبا أثناء تحدثه مع مهاجر محتجز في مركز الاحتجاز قدم نفسه بوصفه مسلما، وحينها شعر المحتجز بالانزعاج من الصليب وأوضح أنه مُسلم ولا يرغب في التحول عن دينه. وهكذا، على موظفي المنظمات الدينية إعطاء رسائل جلية إلى المجتمع المحلي مفادها أنهم يقدمون المساعدة لجميع الأفراد بغض النظر عن معتقداتهم الدينية وأن يتجنبوا إظهار رموزهم الدينية.

ومن الأهمية مكان لموظفي كل من المنظمات الدينية والعلمانية أن يكونوا ضليعين في المبادئ الأساسية للأديان التي يتبعها عملائهم. وعلى المنظمات الانتباه لبعض الممارسات والالتزامات واحترامها، مثل: القيود الغذائية والأعياد الدينية. وعلى الموظفين أيضًا - إن أمكن - محاولة إدماج تقاليد العملاء الروحية في نشاطات المنظمة أو عقد احتفالات ثقافية إذا ما وصفها العملاء بأنها شئنا مهمًا لمجتمعاتهم وطريقًا لرفاههم النفسي الاجتماعي ولا سيما إذا كانت تناسب السياق المحلي. وبناءً على طلب زوج مسلم وزوجته المسيحية من طالبي اللجوء، بارك قس منظمة البحارة الدولية طفلهم حديث الولادة مستخدمًا تقاليد كلا الدينين.

أخيرًا، على المنظمات الاستعداد للانخراط في حوار الأديان والقيم الروحية مع عملائهم نظرًا لأن كثيرًا من السكان النازحين يرون الدين عاملًا مهمًا للتعايش والمداواة وعلى

إضافة إلى تقديم الدعم الروحي والعاطفي والاجتماعي، لدى المنظمات القائمة على العقيدة روابط مع الشبكات الاجتماعية الأخرى، مثل: أماكن العبادة، وهي قادرة على جذب الموارد والمتطوعين من خلال هذه الشبكات. فعلى سبيل المثال، تعمل منظمة البحارة الدولية مع التجمعات اللوثرية لتوظيف المتطوعين لزيارة مراكز الاحتجاز بينما تستخدم كل من منظمة الهيئة الكاثوليكية للرفاه في الشرق الأدنى وكنيسة مبشري مريم الفرنسيسكان شبكاتهم الكنسية لإيجاد الموارد وتوزيعها، مثل: الإسكان والأثاث والملابس لعملائهم اللاجئين. ويمكن أن يتواصل الموظفون مع طالبي اللجوء واللاجئين الذين يتبعون العقائد الدينية نفسها التي تتبعها المنظمة القائمة على العقيدة ويتجمعون في أماكن العبادة التي تزودهم بمزيد من المساعدة الروحية. وعلى صعيد آخر، لا تحظى المنظمات العلمانية بروابط اتصال مع أماكن العبادة.

القيود والمخاطر

تواجه المنظمات الدينية أيضًا قيودًا وقد تضر ببعض الأفراد الذين يعتقدون دينًا مغايرًا لدين المنظمة، فهم قد يتعرضون للاضطهاد بسبب دينهم أو للتشكيك في صحة معتقداتهم أو للشعور بأن سلطة عليا قد تخلت عنهم في وقت محتتم. حتى إن بعض الأفراد يخافون طلب المساعدة من المنظمات

ديسمبر/كانون الاول ٢٠١٤

كل من المنظمات الدينية والعلمانية تدريب موظفيهم على المبادئ الأساسية لأديان عملائهم. ويجب إجراء مزيد من الأبحاث متعددة التخصصات وتكوين مزيد من أطر الممارسات من قبل الأخصائيين الاجتماعيين والعاملين في مجال الصحة العقلية والعاملين في مجال المساعدات الإنسانية سعياً لضمان النظر إلى الدين والقيم الروحية بوصفها شيئاً قيماً يستحق أن يكون موضوعاً للحوار مع طالبي اللجوء واللاجئين ولضمان عدم تسبب ممارساتهم في إحداث مزيد من الضرر النفسي الاجتماعي أو العاطفي.

مريم زوما zomamaryam@gmail.com كانت حتى

وقت قريب متدربة على العمل الاجتماعي في منظمة البحارة

الدولية <http://sihnyc.org> وهي حالياً مرشحة لنيل

درجة الماجستير في العمل الاجتماعي في مدرسة سيلبرمان

للعمل الاجتماعي في كلية هانتر في جامعة مدينة نيويورك.

www.hunter.cuny.edu/socwork

١. جوزدزيك إي وشاندي دي (2002) "الافتتاحية: الدين والقيم الروحية في الهجرة

القسرية"، مجلة دراسات اللاجئين، المجلد 15، العدد 2.

٢. للحصول على معلومات بشأن تأثير الاحتجاز، راجع العدد 44 من مجلة الهجرة القسرية

عن "الاحتجاز، وبدائل الاحتجاز، والترحيل". www.fmreview.org/ar/detention.